

لبيك اللهم لبيك



مسرحية لم تنشر من قبل

علي أحمد باكثير

المنظر:

«حول البيت العتيق وقد أوشك أن يتم بناؤه. إبراهيم وإسماعيل يعملان في ذلك مجتهدين».

إبراهيم:

- بل الحديث أعون على احتمال الجهد دون أن نشعر بالجهد. أو لا تعرف المثل الذي يقال في ذلك؟

إسماعيل:

- بلى يا أبت. يقولون هنا: احملني وأحملك!!

إبراهيم:

- قول بديع في معنى المثل الذي نقوله بالشام بيد أن هذا أحف وأروع.

إسماعيل:

- لوددت يا أبي لو أحسن لغتك كما تحسنها أنت فينطلق بها لساني كما ينطلق بلغة أحماني هؤلاء.

إبراهيم:

- بل لبتني أحسن لغتك هذه فأكلمك بها، فهي أشرف وأكرم.

إبراهيم:

- ما بالك صامتاً اليوم يا إسماعيل؟

إسماعيل:

- إني أردت في سري ما سمعته منك: «ربنا تقبل منا إنك أنت السميع

العليم».

إبراهيم:

- قد سمع الله لنا يا بني وهو السميع المجيب، ولكن هلم نتحدث..

أو قد مللت حديثي يا إسماعيل؟

إسماعيل:

- معاذ الله يا أبي ولكننا قد أوشكنا أن نفرغ من عملنا هذا فلو صبرنا

قليلاً عن الحديث حتى لا يشغلنا عن إتمامه اليوم.

إسماعيل :

- أمرف وأكرم؟ كيف؟

إبراهيم :

- بهذه اللغة يا إسماعيل سينزل الله ذلك الكتاب الكريم على الرسول العظيم من ذريتك فتكون لسان المهتدين به في مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة .

إسماعيل :

- «فرحاً» إذن فلو أقمت عندنا يا أبي فتعلمها .

إبراهيم :

- وأنتي في ذلك يا بني؟ لقد أمرت بأن تكون هذه هجرة لله ، فلو أقمت معك ما كانت كذلك . . ويحك يا إسماعيل لو كان ذلك في لقد كانت هاجر أمك أخرى منك بأن أقيم معها . «تخالط صوته رقة» وألا أدعها تموت هنا وحدها دون أن تراني . .

إسماعيل :

- لله أنت يا أبي لشد ما أطعت ربك

وصبرت . .

إبراهيم :

- «يتجلد» ما أنا إلا عبد الله يا إسماعيل

أؤمر فأطيع . . إن الله قد اختارك أنت أبا لتلك الأمة العظيمة ولم يخترنى .

إسماعيل :

- لكنت أبي فأنت إذن أبوها .

إبراهيم :

- صدقت ولكن الله قد شاء أن يجعلني أبا الملة كلها ، ملة التوحيد والإسلام مهما تختلف أنسابها وألوانها وديارها ولم يجعلني أبا لأمة دون أمة .

إسماعيل :

بح لك يا خليل الرحمن !!

«تقبل امرأة إسماعيل»

إبراهيم :

- مرحباً مرحباً بزوج البعل الكريم وأم الشعب العظيم .

هي :

- الفضل فضلك باعماه . أنا هي العتبة وأنت الذي تثبيتها أوصيت . .

إبراهيم :

- بل الفضل فضلك يا بنتاه . إذ وجدتك شكورا صبورا فكنت جديرة

أن تلدي ذلك الشعب . .

إسماعيل :

- «كأنه لا يريد أن تشعلنهما امرأته عن عملهما» هل من حاجة أقضيها

لك؟

هي :

- لا حاجة إلا أن إخوتي وأبناء عمومتي هؤلاء ما زالوا يلحون على تأذنا هم فيعينوكما على رفع هذه البنية .

إسماعيل :

- لقد قلنا لهم من أول يوم إن هذا أمر الله سبحانه وتعالى لنفذه كما أمر . .

إبراهيم :

- أجل فاعتدري هم واشكركهم فكان قد أعانونا محمودين .

هي :

- لم يشاءوا أن يقتنعوا بذلك وظلوا يظنون أنكم ما امتنعنا إلا كراهية أن

تحملاهم رهقا . وإنيهم لفتيان أشداء وإنيهم

ليحبون إسماعيل وأباه ويخز في صدورهم أن

يرفض الضيف الكريم منهم التكرمة .

إسماعيل :

- فقولي لهم إن البنية قد أوشكت أن

تتم . . ألا ترى؟

هي :

- ذلك أخرى أن تأذنا هم اليوم

فتطيب نفوسهم

إسماعيل :

- ماذا ترى يا أبي؟

إبراهيم :

- لا أدري والله ، تريد أن نطيع أمر ربنا ولا نحب أن نسئ إلى قوم كرام

محسنين . .

إسماعيل :

- أمر ربنا إذن أجدر أن نرعاه . ارجعي إليهم فقولي . .

إبراهيم :

- بل رويدك . . حديثهم بحديث النداء لعلهم يقتنعوا بأن أمر الله لا

هوادة فيه . . ألم تحدثها بذلك يا إسماعيل؟

هي :

- بل يا عمها . . إذ رأيت في المنام أنك تذبح ابنتك فعزمت أن تنفذ أمر الله

لولا أن فداه الله بذبح عظيم

إبراهيم :

- أجل أجل هو ذاك .

هي :

- آه . . لولا ذلك الغداء ما قرنا بك يا إسماعيل .

إبراهيم :

- فلتحدثي به فتیان قومك ولتقولي لهم إن هذا الأمر مثل ذاك .

هي :

- «فرحة» الآن يا سيدي أستطيع أن أقنعهم .

إسماعيل :

- قلبي لهم : حسينا فضلاً منهم أنهم يعطوننا من صيدهم منذ شغلت

أنا عن الصيد .

هي :

- «في دلال» لا يا إسماعيل . . هذا

وحده غير مقنع . . سأمضي الساعة

لإقناعهم ثم أعود إليكما بالغداء .

إسماعيل :

- أخري غداءنا حتى نفرغ من عملنا فما

بقي منه إلا قليل .

هي :

- الضيف هو الأمر يا إسماعيل .

إبراهيم :

- كلا ما أنا بضيف يا بنيتي ولكني جعت وتعبت .

هي :

- إذن فقد أمرت . . «تخرج»

إبراهيم :

- «معجبا» ما أذكاه وأنجبها إن فيها لمشابه من هاجر .

إسماعيل :

- «يضحك» ها الله . لقد شغلنا عن العمل .

إبراهيم :

- «يقف عن العمل» دعنا نستريح قليلا يا بني .

إسماعيل :

- أنا ما جعت بعد يا أبي ولا تعبت . . ما بقي غير هذا الصنف الواحد

من المدر ثم نستريح . .

إبراهيم :

- ذلك أخري أن نستريح الآن .

إسماعيل :

- سأقرب بعض الحجارة ريثما تعود زوجي بالغداء .

إبراهيم :

- أتعصي أبك يا إسماعيل ؟

إسماعيل :

- «يلقي كل ما بيده» معاذ الله يا خليل الله . . إني سامع ومطيع .

إبراهيم :

- هلم نجلس فوق تلك الصخرة العالية .

«يرقان الصخرة ثم يجلسان»

إبراهيم :

- «ينظر إلى خيام الجرهميين» ما شاء

الله . . هذه أخبية أمائك من جرهم . .

الحمد لله إذ استجاب دعوتي فجعل أفئدة

من الناس تهوي إليكم .

إسماعيل :

- أجل يا أبت . . كل يوم يطنب بيننا

أهل خباء جديد .

إبراهيم :

- بارك الله في زمزم وبارك على

صاحبتها الصديقة المصرية أم إسماعيل وأم السيد المختار من ولد إسماعيل .

إسماعيل :

- «تندى عيناه بالدمع» ليتها يا أبي تشهد هذا اليوم .

إبراهيم :

- «يتجلد» ما عند الله خير لها وأبقى يا بني . . «يتنهّد» آه . . ما أسرع

كروور السنين . . لكأنها كان ذلك أمس إذ بلغت بكما هذا المكان فأنزلتكما به

وأنت بعد رضيع لم تظطم ، وليس به يومئذ ماء ولا أنيس وما معكما غير

جراب تمر وسقاء ماء . . فلما أردت المضي صاحت بي أمك : يا إبراهيم أين

تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء ؟ فوقفت حزينا لا

أحير جوابا ، فلما رأت ذلك مني قالت : الله أمرك بهذا ؟ قلت نعم . .

قالت : إذن لا يضيعنا فامض حيث شئت . . فانطلقت يا بني أريها أنني

جلد لنلا يحزننا حزني حتى إذا كنت عند تلك الشية حيث لا تراتي عينها

استقبلت هذا البيت بوجهي ودعوت الله لها ولك تلك الدعوة .

66

عندما شرف الله إبراهيم

برفع البيت وتطهيره

للعابدين والركع السجود

99

إسماعيل :

- هي حدثني أنها كانت يومئذ تحشى علي وعلى نفسها سباع الوحش وسباع الإنس . فلما قلت أنت لها إنه أمر الله سكنت واطمأنت .

إبراهيم :

- أجل يا بني . . الله أعلم حيث اختار . . لولا امرأة أخرى قيل ذلك يومئذ ما آمنت ولا اطمأنت . . «يتنهد» إن الله يا بني لحكمة في كل شيء . . أنهم سارة خالتك أن تغار منك ومن أمك ليكون سببا لعمارة بيته هذا العتيق وليجعل لي ولك شرف بنائه وتطهيره للطائفتين والعاكفتين والركع السجود .

«تعود امرأة إسماعيل تحمل مكتلا وسقاء»

هي :

- ألا تنزلان لغدانكما أم أصعد إليكما به؟

إبراهيم :

- انزل يا بني فخذ منها .

«ينزل إسماعيل فيأخذ المكنل والسقاء منها ويصعد»

إبراهيم :

- ماذا صنع الفتيان يا بنتاه . . اقتنعوا؟

هي :

- نعم ياعماه وطابت نفوسهم .

إبراهيم :

- الحمد لله . .

هي :

- إذا شئتما مزيداً من هذا الشواء فعندنا المزيد .

إبراهيم :

- بارك الله فيك .

هي :

«باسمة» يا أم الشعب العظيم . . «تنصرف»

«يضحك إبراهيم وإسماعيل»

إبراهيم :

- بسم الله الرحمن الرحيم «يأخذ في الأكل»

إسماعيل :

- بسم الله الرحمن الرحيم «يأكل في غير شهية كمن شغل فكره بشيء»

إبراهيم :

- ما خطبك يا بني؟ لم يعجبك هذا الشواء الطيب؟

إسماعيل :

- بلى يا أبت إنه لأفضل ما عندنا من الطعام .

إبراهيم :

- فمالى أراك لا تأكل بشهية مثلي؟ أي شيء يشغل بالك؟

إسماعيل :

- حتى تفرغ من طعامك كيلا أشغلك عنه .

إبراهيم :

- بل حدثني الآن . . إن الحديث على الطعام لمستحب .

إسماعيل :

- سمعتك تذكر سارة خالتي وحكمة الله في مهاجرتك بي وبأمي .

إبراهيم :

- أجل هنا انقطع حديثي معك آنفاً . .

إسماعيل :

- فهل لي أن أستزبدك علماً؟

إبراهيم :

- أجل يا بني الحبيب، سلني ما تشاء .

إسماعيل :

- لم اختار الله هذا الوادي الفقير ليكون دار هجرتنا أنا وأمي؟

إبراهيم :

- ويحك يا بني . . لمكان بيته المحرم هذا .

إسماعيل :

- وفيهم جعل بيته المحرم هنا في هذا المكان الجديد؟

إبراهيم :

- ويحك أضقت ذرعاً بالعيش هنا يا إسماعيل؟

إسماعيل :

- كلا يا أبي . . إني لأحب هذا الربع ولا أعدل به جنات الأرض . .

وحسبي أن أمي فيه عاشت وبه دفنت وأنها رأت من الآيات يوم مقدمها ما جعلها تنعم بالآ وتقر به عيناً .

إبراهيم :

- أجل إنها لآيات بينات أكرمها الله بها ثم فضلها على نساء العالمين . إذ

جعل آثارها ومواطي أقدامها مناسك يؤديها حجاج بيته إلى يوم القيامة .

إسماعيل :

- ولكنني أشتهي بعد يا أبي أن أعرف الحكمة في اختيار هذه البقعة

الجدباء من دون بقاع الأرض .

إبراهيم :

- ويحك يا بني ألم أخبرك غير مرة أن الله قد بشرني أنه يبعث هنا رسولا

عظيماً من ولدك يكون خاتماً لرساله إذ يضع ميزان الحق على الأرض فلا يرتفع عنها حتى تقوم الساعة .

إسماعيل :

- بلى يا أبي ولكن لم هذا المكان الجذب لذلك الرسول العظيم؟

إبراهيم :

- أي بني إن الله لم يوح إلى بشيء في ذلك . . ولكن لعله جلت حكمته

قد قضى في سابق علمه أن يصون هذه البذرة الطيبة هنا في معزل عن

عواصم المشركين وملاحم الجبابرة حتى يأتي ذلك اليوم الموعود

إسماعيل :

- هذا حسن يا أبي ولكن إذا ظهر ذلك الرسول العظيم في هذا الموضع القفر فلن يكون المهتدون به إلا قلة من الناس .

إبراهيم :

- مهلاً يا بني لقد بهتني بسؤالك هذا إلى حكمة أخرى لله والله أعلم وأحكم .

إسماعيل :

- ما هي يا أبي ؟

إبراهيم :

- كما يتيح الله لتلك الأمة التي يبعث بين ظهرانيها ذلك الرسول ، فتهددي به أن تفيض من هذه البقعة فتتساح شرقاً وغرباً إلى حيث تنشر رسالته ودينه في مشابت الزرع والضرع ومساقى الأنهار ومساقط الأقطار من ممالك الأرض وأمعها جرياً في ذلك على سنته التي لا تبدل فيكون لتلك الأمة ملك العالم وخير الدنيا والآخرة .

إسماعيل :

- «يتهلل وجهه بشراً» جزاك الله خيراً يا أبي الآن اطمأن قلبي .

إبراهيم :

- «يتسم» فيها إذن وأكلني . فإني لا أستطيع الأكل وحدي .

إسماعيل :

- حبا يا خليل الرحمن وكرامة «ياكل بنفس طيبة» عسى ألا نؤاخذني فيما ألححت عليك وأحفيت بالسؤال .

إبراهيم :

- كلاً . لقد سرني هذا منك . أنا أيضاً كنت في شبابي طلعة مثلك . حتى لقد بلغ بي ذلك أن سألت رب العزة أن يريني كيف يحيي الموتى . فقال لي : «أولم تؤمن؟ قلت بلى ! ولكن ليظمن قلبي» .

إسماعيل :

- فأردك ربك آية الطير الأربعة .

إبراهيم :

- «متهللاً» سمعتها يا بني ؟

إسماعيل :

- من لسان أمي .

إبراهيم :

- أجل لقد كانت حافظة واعية .

إسماعيل :

- كل يا أبتي . . كل .

إبراهيم :

- الحمد لله رب العالمين . أتممت أنت عداءك .

إسماعيل :

- الحمد لله رب العالمين .

إبراهيم :

- «ينفض» حي الآن على العمل .

«ينزلان من الصخرة ويستأنفان عملهما في بناء البيت»

إبراهيم :

- ناولني هذا الذي بيدك .

إسماعيل :

- بل دعني يا أبي أرفعه بنفسي إنه حجر ثقيل .

إبراهيم :

- «متسماً» هذا دأبك معي يا بني . أو تريد أن تستأثر بالشواب من دوني ؟

إسماعيل :

يا أبتي إن الشواب كله لك . فما أنا إلا ابنك وعملك الصالح إن شاء الله .

إبراهيم :

- أجل ولكننا أمرونا أن نبني البيت معاً لا أن نبنيه أنت وحدك .

إسماعيل :

- يا أبتي لقد أمرك الله أن تستعين بي وهو سبحانه يعلم أنك شيخ كبير وأني أنا شاب جلد .

إبراهيم :

- «يضحك» صدقت يا بني . والله ما رأت عيني في بلاد الشام ولا أرض الكلدان فتى أجسد ولا آمن منك الله هذه الأرض التي ربك فشدت لحمتك وصلبت عظمك «ثم في رقة» والله در ابنة النيل تلك التي أرضعتك .

إسماعيل :

- «فرحاً» انظر يا أبي لقد فرغنا من بناء البيت ونحن لا نشعر .

إبراهيم :

- الحمد لله ما بقي علينا إلا أن نختمه بهذا العلم .

إسماعيل :

- ما هذا الحجر الأسود الذي جنت به ؟

إبراهيم :

- تثبته . . في هذا الركن ليكون للناس علماً يتدنون منه الطواف .

«يساعده إسماعيل في تثبيت الحجر الأسود»

إبراهيم :

- «يستلمه ويقبله» طوبى لك من حجر . ليستلمتك يوماً حبيب الرحمن وليقبلتك .

إسماعيل :

- حبيب الرحمن ؟ !

إبراهيم :

- ابنك المختار يا إسماعيل . هذا من ألقابه . استلمه وضع يديك حيث يصع شفتيه .

إسماعيل :

- «يستلم الحجر ويقبله» ابني المختار . حبيب الرحمن؟
«يسمع خفق لطيف بين السماء والأرض»

إبراهيم :

- سبوح قدوس .

إسماعيل :

- يا أبت . ما هذا؟

إبراهيم :

- هذا الروح الأمين يابتي .

إسماعيل :

- «متمتا» جبريل؟!

جبريل :

«يسمع صوته» يا إبراهيم . رب العزة أمرني أن أقرأ عليك السلام .

إبراهيم :

- «مبتهلا» اللهم إنك أنت السلام ومنك السلام . تباركت ربنا
وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام .

جبريل :

- وأن أبلغك أنه قد رضي عنك وعن ابنك إسماعيل فيما بنيتما وطهرتما من
بيته هذا للطائفين والعاكفين والركع السجود .

إبراهيم :

- لك الحمد يا رب الحمد ، ما كنا لنرفع قواعده وحدنا لولا عونك
وخفي قدرتك .

جبريل :

- وقد أذن لك أن تدعوه ما تشاء ليستجيب لك .

إبراهيم :

- «يرفع يديه مبتهلا» رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات
من آمن منهم بالله واليوم الآخر .

جبريل :

- ومن كفر؟

إبراهيم :

- ومن كفر؟

جبريل :

- يقول ربك رب العزة : ومن كفر فأمته قليلاً ثم أضطره إلى عذاب
النار وبئس المصير . أتم دعاءك يا إبراهيم .

إبراهيم :

- ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا
ونب علينا أنك أنت التواب الرحيم .

إسماعيل :

- آمين .

إبراهيم :

- آمين يارب العالمين .

جبريل :

- إن ربك يأمرك أن تؤذن بالحج إلى بيته في الخلق أجمعين .

إبراهيم :

- أي جبريل أي خلق هنا؟ إنما هي أبيات قلائل .

جبريل :

- أذن في الناس عامة . في البشر كافة . الخلائق أجمع .

إبراهيم :

- وما يبلغ صوتي يا جبريل؟

جبريل :

- ما عليك إلا أن تؤذن وعليه عز وجل البلاغ . فليسمع صوتك جميع
ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء من يومك هذا إلى يوم القيامة .

إبراهيم :

- سبوح قدوس .

جبريل :

- فليبين نداءك كل من آمن ممن كتب الله له حج بيته مهما تكن داره في
المشرق أو المغرب إلى يوم القيامة ، وليعجزن عن التلبية كل من لم يكتب الله له
الحج وإن يكن مقبلاً في هذا الوادي على غلوة سهم من البيت العتيق .

إبراهيم :

- سبوح قدوس .

جبريل :

- ارق ذلك الشرف يا إبراهيم فأذن أذانك منه .

إبراهيم :

- أعني يا بني لأرقى هذا الشرف «يعينه إسماعيل» .

جبريل :

- أذن . . الآن .

إبراهيم :

«بأعلى صوته» أيها الناس . . إن الله تبارك وتعالى قد كتب عليكم الحج
إلى هذا البيت العتيق . .

«تجارب الأصوات مدوية من قريب وبعيد بكللمات شتى وضجارت
متباينة»

إسماعيل :

- يا أبت ما هذا الدوي؟

إبراهيم :

- ما هذا يا جبريل . . أهذه هي

جبريل :

- أصوات أجيال البشر التي كتب الله لها حج بيته العتيق .

إسماعيل :

- وماذا تقول يا أبت تلك الأصوات؟

إبراهيم :

- ماذا تقول الأصوات يا جبريل؟

جبريل :

- تقول بشتى لغاتها ومختلف ألسنتها في المشارق والمغارب «ليبيك اللهم
ليبيك»